شهرية المسرح

الموسم الأوربى فى دار الأوبرا

ابتدأ فى شهر ديسمبر الماضى الموسم الحقيقى لدار الأوبرا الملكية ، حين ظهرت فيه فرقة الشانزليزيه للمسرحيات الراقصة . وإذا كنا نعتبر ظهور هذه الفرقة مبدأ لموسم الدار ، فذلك لأننا نريد أن نرى فى موسمها الحقيقى ما ينطبق كل الانطباق على الغرض التى أقيمت من أجله .

فاسم الأوبرا يطلق على نوع خاص من المسرحيات ليس فيها التمثيل وحده ، ولا التصوير وحده ، ولا الموسيقى وحدها ، وإنما هى جماع لهذه الفنون . وكلمة الأوبرا نفسها فيها مدلول هذا الجمع بين الفنون المختلفة ؛ فهى كلمة ليس لها معنى إذا ترجمت إلى لغتنا إلا كلمة العمل . فالذى يقصد بها إذن أن التمثيل وحده ليس بعمل ، وتصوير المناظر وإبرازها على أحسن صورة كما يحدث فى المسرح ليست بعمل ، والموسيقى وحدها على ما بها من تأليف لجوقة تجمع شتات الآلات العازفة ليست بعمل ، وإنما العمل أن تجمع بين هذه الأنواع جميعاً فى مسرحيات فيها التمثيل وفيها الغناء والموسيقى ، وفيها المناظر البارعة . وهذا هو العمل الذى يحتاج لمجهود فنى كبير .

ليس هذا موضع شرح الأطوار التى مرت بها الأوبرا ؛ فنحن إنما نعرض لموسم خاص بذاته ، هو موسم هذا العام ، وإنما نريد أن نعرض بكلمة لصيحة مترددة نسمعها أحياناً فى هذا البلد هى التساؤل عن قيمة هذا الموسم . فبين حين وآخر نرى واحداً أو اثنين أو أكثر ، من المتعلمين ، بل أحياناً من المثقفين ، يقررون أن هذا الموسم لا يفيد البلاد فى شئ . ولهؤلاء نريد أن نوجه كلمة بسيطة صغيرة لا نتوسع فيها ، هى التساؤل : ما فائدة أى شئ نتصل به من مبتدعات الغرب ؟ ما فائدة الكتب الأوربية مثلا ؟ ما فائدة الثقافة الأوربية ؟ إذا كان هؤلاء يقرون أن للثقافة الأوربية والابتداع الفكرى الأوربى قيمة ، فيجب أن يعترفوا بنوع يعد من أكبر مظاهر الفن الأوربى . وحينئذ يعلمون أن ذلك العظيم الذى أنشأ هذه الدار فى وسط عاصمة البلاد ، إنما كان رجلا يشعر بالثقافة الحقيقية ، ويعمل لترقية بلاده وأخذها بأسباب الحضارة .

لسنا نريد أن نتوسع فى هذه الناحية فان لها مجالا آخر ، وإنما نريد أن نعرب عن سرورنا ، إذ نرى أن هذا الموسم كالموسم الماضى قد دبر فكرته وأشرف عليه رجال من مواطنينا ، يفهمون حق الفهم رسالة هذه الدار ، ويعملون رغم الأقوال للنهضة بها بدلا من أن تكون أعمالها فى يد الأجانب .

ولقد أثنينا فى ملاحظات على الموسم الماضى ، على ما بذله القائمون بأعمال دار الأوبرا الملكية فى تدبير الموسم رغماً من الصعاب التى أشرنا إليها . ونحن اليوم يزيد إعجابنا بما دبروه لهذا الموسم من تنوع فى الفرق التى نراها فى هذا المسرح ، مما يدل على ذوق سليم وحماسة . فلا شك فى أن الادارة المصرية التى يشرف عليها الأستاذ سليمان نجيب بك مدير دار الأوبرا ،

والأستاذ عبد الرحمن صدقى وكيلها ، جديرة بالتهنئة على فهمها التام لعملها ، وعلى مجهودها فى سبيل تحقيق الأغراض التى أنشئت من أجلها هذه الدار . فهى التى قد أرادت التنويع ، فأتت بهذه الفرقة للمسرحيات الراقصة كما أتت بفرقة الأوبرا الايطالية ، فضلا عن الفرق التمثيلية الأخرى .

أما فرقة الشانزليزيه للمسرحيات الراقصة فانها فرقة من الدرجة الأولى لهذا النوع من المسرحيات الذى ثبتت أقدامه فى الزمن الحديث . ولسنا نريد أن نقول إنها خير من فرق عدة من فرق الرقص الروسى رأيناها منذ عشرات السنين ، ولكننا نقول إنها بلغت درجة كبيرة فى فنها . وإنا لنرجو أن ترى القاهرة فى المواسم القادمة بعض الفرق الشهيرة الآن بهذا النوع من المسرحيات التى تعمل بنوع خاص فى لندن .

لقد أظهرت هذه الفرقة فنها فى عدة من المسرحيات الراقصة الشهيرة . ولكننا رأينا لها مسرحيات أخرى لم نكن شاهدناها من قبل ، ولعلها خاصة بهذه الفرقة . وقد أبدت فيها مهارة فى التمثيل بالاشارة والرقص كما هو الشأن فى هذه المسرحيات مع موافقة هذا التمثيل للتعبير الموسيقى .

فمن المسرحيات الراقصة الشهيرة التى رأينا فيها هذه الفرقة مسرحية « لعبة الورق » . وقد وضع موسيقى هذه المسرحية المؤلف الموسيقى الروسى الكبير فى هذا العصر سترافنسكى . وهى قصة الحظ وانتقاله فى تلك الألعاب التى تقوم عليه ، ممثلا فى الورقة الكبرى التى إذا وجدها اللاعب بين ورقه كان له أكبر مكسب ، وكانت الخسارة على غيره من اللاعبين .

وفى هذه الرقصة نرى الراقصين والراقصات يمثلون أنواع الورق المختلفة ، وهم يتنقلون فى رقصهم من جانب إلى جانب ، فى حين تلعب تلك الورقة التى تعين على الربح الأعيبها . كما يقضى الحظ ؛ فهى تتنقل طوراً إلى هذا الجانب وطوراً إلى ذاك .

وقد أظهر الراقص جان بابيليه براعة فى دور الورقة الكبرى ، وكان رقصه بديعاً للغاية ، فى عنف يناسب الدور الذى يقوم به ، وهو ذلك الحظ الذى يواتى إنساناً ، ثم يدير له أكتافه ويتركه بلا شفقة .

ورأينا الفرقة أيضاً فى مقطوعات من مسرحية « العصفور الأزرق » للموسيقى تشايكوفسكى ، حيث أبدعت الراقصة أندريه ليليفر ، والراقص جان جيل . كما رأيناها فى مقطوعات من « بحيرة البجعة » للموسيقى ذاته حيث ظهر فن الراقصة إيرين سكوريك والراقص يولى ألجاروف ، ولعلهما أبرز أعضاء الفرقة . ورأينا أيضاً تلك المسرحية الراقصة الشهيرة المسماة « خيال الوردة » وهى التى بنيت على ألحان الموسيقى الألمانى فيبر وقد ظهر فيها فن الراقصة نتالى فيليبار وجان بابيليه . وهما من خيرة الراقصين فى الفرقة .

أما المسرحيات الراقصة الجديدة التى أظهرتها الفرقة ونجحت فيها نجاحاً بعيداً فمن أولها « الفنانون المتجولون » . وهى تمثل حياة فرقة من تلك الفرق التى تقوم بأعمال بهلوانية . وهى تعرض فنها لا فى المدن الكبيرة ، فهى لم تبلغ بعد من الثبات والمال ما يمكنها من ذلك ، وإنما تعرضه فى أسواق القرى متنقلة من قرية إلى قرية . وما مسرحها فى هذه الحالة إلا بعض أخشاب تجرها على عربة ، فتنصب أخشابها وخيامها للتمثيل . وبعد أن تقوم بدورها قد لا يكون نصيبها إلا بضعة دريهمات لا تسد الرمق ، كما حدث فى هذه المسرحية ذاتها . وقد وضع

لها الموسيقى الفرنسى هنرى سوجيه ألحانا بديعة ملائمة للموضوع . وكان اتقان الفرقة فى هذه المسرحية كبيراً.

ومن مسرحياتها الجديرة بالذكر مسرحية «بنت الغاب» . وهذه فى الحقيقة وضعت منذ زمن بعيد لمسرح الأوبرا بباريس وضعها الموسيقى شناتيزهوفر فى سنة ١٨٣٢ وظلت تمثل إلى سنة ١٨٦٠ ثم رفعت من البرنامج وتناساها الناس ، حتى رأت الفرقة إعادة بنائها من جديد . ولا شك أنها أحدثت فيها من التحسين ما يقضى به تقدم المسرحيات الراقصة منذ ذلك العهد ، لا سيما بعد ظهور فرق الرقص الروسى التى أخذت أوربا الغربية على حد تعبيرنا الحديث ، على غرة ، فأحدثت تطوراً عظيما فى فن المسرحيات الراقصة .

وقد حاولت الفرقة إحياء هذه المسرحية فوفقت فى ذلك توفيقاً كبيراً . وعادت المسرحية إلى احتلال المكان الذى كان لها عند ما وضعها تليونى واضع المسرحيات الراقصة الشهيرة فى أوائل القرن التاسع عشر .

ولقد شاهد رواد تلك الحفلات تصويراً بديعاً فى رقصة « الغسالات » مع ألحان فرنون ديوك . وهى قصة طريفة هزلية فيها الكثير من الرقص العنيف الذى ترقصه تلك الطبقات .

وكانت «صورة دون كيشوت» قصة طريفة أيضاً نشأت فكرتها من بطل سرفانتز الخالد. وكانت ألحان بتراسى مناسبة لها كل المناسبة .

ولعل خير ما أظهرته الفرقة من مسرحيات راقصة ، بدا فيها جمال الفن الحقيقى ، تلك القصة التى أبدعتها مخيلة الكاتب الفرنسى الكبير جان كوكتو . وهى قصة « الشاب والموت » . وقد اقتبست لها موسيقى من ألحان جان سبستيان باخ من أعظم الموسيقيين الألمان فى القرن الثامن عشر، ومن أعظم موسيقى العالم فى كل وقت ؛ ووضع رقصاتها رولان بتى . وقصة هذه المسرحية فى كلمة أن شاباً يسكن غرفة حقيرة فى أعلى منزل ، يحب فتاة . وقد واعدها على زيارته فتزوره فى غرفته حيث يبوح بحبه لها ويتوسل إليها ، وهى تمتنع عليه وتوجه إليه الاهانات ، ثم تغادر غرفته بعد أن تشد فى جدار الغرفة حبلا وتدعوه لخنق نفسه إمعاناً فى إهانته . فاذا وجد نفسه وحيداً منبوذاً أقبل على الحبل فشنق نفسه . وحينئذ يدخل إلى الغرفة الموت وهو مقنع ويستصحبه سائراً به فوق سطوح منازل باريس . فاذا هم بأن يسير به فى الفضاء خلع قناع نفسه وألبسه للفتى . فاذا الموت فى مظهر الفتاة التى أحبها وأدت به إلى الموت .

وترى من ذلك أن فكرة القصة بديعة ، ومن أصلح الفكر للمسرحيات الراقصة كما كانت موسيقى باخ العظيمة تملؤها حياة وروعة .

لقد انتهت فرقة المسرحيات الراقصة من موسمها بالقاهرة، وانتقلت إلى الاسكندرية العاصمة الثانية للبلاد لتعرض فنها فى مسرح محمد على . وبدأت فى دار الأوبرا فرقة المسرحيات الغنائية « الأوبرا » وهى فرقة مختارة من أكبر المسارح فى إيطاليا وفيها الكثير من المغنين والمغنيات الذين سمعناهم فى الموسم الماضى .

وسنرجىء الكلام عن موسم الأوبرات إلى الشهر القادم حيث نكون قد شهدنا أكبر عدد منها . ولئن كان أكثرها قد شهدناه مرة ومرات فان ذلك لا يحول دون

التمتع به ، فالفن الحقيقى تزيد لذته ومتعته بكثرة المشاهدة .

وكل ما نريد أن نقوله ونكرره فى هذا الشهر هو أننا جد فخورين إذ نرى مستوى الموسم فى هذه الدار العريقة لا يقل تحت الادارة المصرية عنه فى أيام الادارة الافرنجية ؛ بل قد يرتفع هذا المستوى إذا راعينا الصعوبات التى يلقاها القائمون على دار الأوبرا بالنسبة لصعوبة الاتصال بين بلاد العالم والظروف التى لاتزال قائمة فيه .

حسن محمود